من تراب الطريق! (١٧٥) فى النبوة المحمدية (*)

فى النبوة المحمدية، فضلا عن عنايتها الجمة بجانب الروح والنفس ــ فيها اعتراف جاد بالعالم المادى الظاهر، وأنه واقع ضرورى لا يجوز تجاهله وليس منه مفر لأى حى أو غير حى، لأن الحى وغير الحى جزء موجود من العالم المادى لا محالة .

وفى النبوة إيمان فطرى بأن ذلك العالم بما فيه من أحياء، محكوم بحكمة خالصة .

وفى هذه النبوة إيمان فطرى بأن الفارق الجوهرى بين الآدمى وبين غيره، أن الآدمى مسئول أمام خالقه عن الإفساد والفساد الذى يقع بقصد أو بغير قصد أو باختيار الآدمى، فهو الوحيد ــ أى الإنسان ــ الكائن المكلف المسئول عما يفعل وعما يدع وعما يحسن وعما يسىء .

وحياة نبى القرآن ــ عليه الصلاة والسلام ــ يميزها عن حياة غيره، كونها مركزة على هذه المسئولية بدعوة داخلية قاهرة ملازمة، لا يستطيع أن يهرب النبى من " صوتها " فى نهار أو ليل فى أى مكان أو زمان .

وهذه الدعوة القاهرة ملحة، جعلت ممارسات النبى عليه السلام لحياته، فى السر والعلن، خالية من طابع الاستغراق والاستئثار والرغبة الشخصية فى الاستزادة، هذا الاستئثار الذى يطبع النفس عند الآدمى عادة، ولكنك لا تجده إطلاقا فى ممارسة النبى، فممارساته عليه السلام وإن كانت بلا أدنى شك طبيعية واختيارية وليس فيها ما هو غير آدمى، لكنها كانت خالية

(*) المال ٢٠٠٨/١٢/١٥

دائما من أى طابع للاستغراق أو الاستئثار أو الرغبة الشخصية فى الاستزادة، بدا ذا نتائج عملية ظلت مصاحبة وجلية فى النبوة المحمدية ..

منها انقطاع صلته عليه السلام بالتملك الشخصى انقطاعاً يكاد يكون كليا، فلم يملك ــ صلى الله عليه وسلم ــ مالاً يحسده عليه أحد، أو يطمع فيه أحد من الآدميين .

ومن هذه النتائج أو الآيات، انقطاع صلته بالترف والأبهة والفخامة التى تقوم مقام التملك أو التمول .

ومن هذه الآيات - خلوصه من كل دواعى الشره ودواعى البطر والتنعم والترف. ومنها أنه عليه السلام، وهو أهمها، قد عاش حياته بالغ التواضع، راعيا للمظلوم واليتيم، ذاما مجافيا للكبر والخيلاء، راعيا للمحتاج، باراً بالضعفاء والمساكين، محسناً للفقراء مضيفا لهم حانيا عليهم . لقد ملك عليه السلام قلوب الضعفاء والفقراء والمحرومين والمستعبدين - ملك قلوبهم إلى أبد الآبدين .